أنت تدري كم تحبك ؟

(الى المتماوت معين بسيسو)

كوفيّةً في الريح تخفقُ
خصلةً من شعرك الوثنيِّ
مشبعة بملحِ البحرِ
تخفقُ
عندليبُ الروح يخفقُ
آخ من قضبانِ صدرك
ضاق بالاعصار

انتَ محاصَرٌ
يا أيها النوتيُّ
أية نجمةٍ سقطتْ على الغابات
أية وردةٍ خفقتْ على الأمواجِ
قلبُكْ !

من أينَ جئتَ ؟
وكيفَ كنتَ ؟
وأينَ أنتَ ؟
وأين دربُك ؟

إنسٌ وجنٌّ في ثيابكَ
آيةُ الكرسيّ
لمْ تشفعْ
ولم تردعْ
صلاتُك أخطأتْ محرابَها
حائرْ

سماؤكَ أوصدتْ أبوابَها
وارتاحَ ربُّكْ .

خُذها نصيحة ميِّتٍ
يدري وتدري كم يُحبُّكْ
يا أيها الصَّديقُ مُتْ
في الكأسِ ظلَّتْ سُؤرةً
يا أيها الزنديقُ مُتْ
سيرنُحُ السمَّار نخبُك ..
بيني وبينك يا حبيبي
طفلةً نزفتْ
على مهماز فارِسها الجبانِ
بيني وبينكَ
ما تساقطَ من زمانكَ في مكاني
بيني وبينك
دمعتانِ
وقصيدةٌ منفيَّةٌ

خُلفَ المراثي والأغاني
ولنا الدمُ المرسومُ سُنبلةً
على مرجِ الزؤانِ
فارحَلْ
ولا ترحَلْ
كفاني من رحيلي
ما كفاكَ وما كفاني ..
يا ابن المدارات السحيقةِ
يا عريس اللوز والليمونِ
كيف مدارك الجوفيُّ ؟
كيف عروسُكَ البيضاء ،
في المنفى الهلاميّ البعيد ؟
كيف الطقوسُ لديك ؟
هل ما زلتَ تذكُرنا ؟
أتذكُرُ طقسَ صبوتك العنيدة
وانفجارَ الروح بين يديك
هل في الكوكب السريّ من

تأتيكَ بالنبأ الجديد ؟

وترٌ نحاسيٌّ على أنقاضِ قلبكَ
آخرُ الأنباء
دميةُ طفلةٍ مبتورةِ الساقين .
تحت الشرفة السوداء
سيّدةٌ تلمُّ غسيلها الناريَّ
فوق الشرفة السوداء
قاذفةٌ تُغير على حديقه
هل أنتَ مُصغٍ ؟
تلكَ سمفونيّةُ الكاوبوي
تعزفها أساطيل الخرافةِ
في طقوس الصُّم
تعزفها على أوتار قلبكَ أنت
موعظة من الشركات
والبورصات
والثكنات

للأمم العدوّة والصديقه

وترى ألستَ ترى حبال الله ،
نازلةً
من الهليكوپتر المختال جبريلاً ،
إلى الأرض الغريقة ؟

أنذا أخاطبُ قلبكَ المشطور
ما بين الحقيقةِ والحقيقة
فاسمع
ولا تسمع
كفانا في دهور الموت
ما تلدُ الدقيقة ..

نفرت طير الشؤم
عن جيف السكارى الميتين
وقذفتَ في بئر الجنون

حجراً تناثَرَ في دوائرها المخيفةِ
وارتجلتَ النار منطفئاً رمادياً
تطوِّحُهُ بلادُ الله والشيطان
يقذفُهُ الكمين الى كمين
غنيتَ للإيمان
لم تُنشِد ولم تَنْشُدْ أميرَ المؤمنين
غنيتَ للأحياء والأموات

من زمن
سئمتَ الآن
غنّاكَ الزمنْ
يا صاحبي الصعلوك
فامنحني القليل
من الهدوء المستحيل
من كنتُ حتى أبتلى بعذابِ غزّةَ
مرة أخرى ،
وكم من مرّةٍ أخرى ابتُليتُ
بكلِّ أحزانِ الجليل ..

يا صاحبي !
في النعشِ متسَّعٌ لأغنيتين
واحدةً تقول : أنا الكفنْ
وتقولُ واحدةً :
تعبتُ من الرحيل الى الرحيل
وتعبتُ من وطنٍ يموتُ بلا وطنْ !
يا صاحبي حيّاً وميْتاً
أيها النهمُ البخيل
في النعشِ متَّسَعٌ لصعلوكين
كيف مضيت وحدك
دون صاحبك القتيل ؟!
زيتونةُ الطوفان في قلبي
تعاتب فيكَ بركانَ النخيل !

ماذا عليك لو انتظرت دقيقتين
وسكرتين
وليلةً مُستهتره

ماذا عليكَ لو انتظرتَ

قصيدتين

ووردتين

ومجزره ..

ما كان عدلاً منكَ أن تمضي

ونحنُ مقيّدون

إلى حديد مجنزره

وكلابُ بن نونَ الجديد ،

تلوكُ في أمنٍ عظامَ المقبره .

وتريد قبرا مثل من ماتوا ؟

وهل عشنا كمن عاشوا ؟

وهل متنا كمن ماتوا ؟

تواضَعْ !

باسم ربٍّ بارك السكين

•

حتى تقتلك

ألمُهل السفّاحَ من أزلٍ إلى أبدٍ

براكَ وأهلك

وتريدُ قبراً ؟
غيرَ خندقِ ثائرٍ
لا قبرَ لكَ
في موطنٍ صليتَ ألا يجهلك
وبكيت كي يستقبلك ..
كم من نبيٍّ علَّلك
كم من إله أمَّلك
يا صاحبي لا قبرَ لك
لا قبر لك !

حاولتُ أن آتيكَ
يومَ فقأتَ قلبكَ بالسرير
في الفندقِ النائي الأخير
حاولتُ أن آتي
لأحضنَ رأسكِ المقطوعَ
بالحسرات
في منفى الضمير

حاولتُ أن آتيكَ
كم حاولتُ
لكنّي فقير
وتذاكرُ الشعراء غاليةٌ
على الشعراءِ غاليةٌ
وأرضُ الموتِ عاليةٌ
على العمر القصير .
حاولتُ أن آتيكَ
معتذراً لموتكَ عن حياتي
آتي ؟
أجبني كيف آتي
بابُ الحنينِ مشرَّعٌ
لكنَّ بابَ القاهره
سدَّتهُ في وجه الحنينِ
نجومُ داوودَ ..
استغثتُ برعبيَ السحريّ
لم يُسعفْ علاء الدين والمصباح

لا طاقيّةُ الإخفاءِ أجدتني
ولا أجدتْ أفاعي الساحره ..

إنهضْ
ولا تنهضْ
فأشباهُ الرِجالِ
كما عهدت
على الرجالِ أباطره !
وسيوف أسياد الحمى
حول الخلافةِ
والرصافةِ
والمضافةِ
والكنافةِ
ساهره ..
وجيوشهم جرّارةٌ
لا لاستعادةِ موقعٍ
أو مسجدٍ

أو زهرةٍ بريةٍ
لكنْ لسحقِ مظاهره
ولقتلِ طفلٍ
ما درى
أن الحنينَ الى أبيه .. مؤامره !

حاولتُ
سامحْني
وأقسمُ
لن أسامحهم لآخر آخره !

للياسمينة أن تنوح
وأن تبوح
بما تشاء
ولساحة الأقصى الدعاء
ولأمهات الاخوة الشهداء
ان يقعدن كيف يشأنَ

في باب المساء
ولكَ الدعابةُ
نحن نعرفُها
دعابتَكَ الفلسطينيةَ السوداءَ
نعرفُها ،
فلا تُثقل علينا
بالمطال وبالرجاء ..
متماوتُ
متماوتُ
أسرتْ بكَ الأشواقُ
من أرضٍ
إلى أرضٍ بعيده
متماوتٌ !
قُلها ،
وفاجئنا بأغنية جديده
يا أيها الصِّدّيقُ عِشْ
يا أيها الزنديقُ عِش

لم يبقَ وقتٌ عندنا للموت
إن ننقُص
يزدْ أعداؤنا
فانهض
رشيقَ القلب والخطوات
دقّتْ ساعةُ الميعاد
ها هُم
خلفَ بابِ الموتِ صحبُكْ
ما زال ملءَ الشمسِ
والانسان
والتاريخ
شعبُكْ
فانهض إلينا
يا رفيقي
أنتَ تدري كم نُحبكْ
أنت تدري
كم نُحبكْ ..

الرامة ٢٧ شباط ١٩٨٤